

الموسيقى والدين

في ظل الإسلام

لحضرة الدكتور محمود أحمد الحفنى

مدرّس تعبير الموسيقى بوزارة المعارف

سيداتى ، سادتى :

يقوم أساس الحضارة فى كل عصر من العصور على مبدأ من مبادئ الفكر البشرى . وقد يكون هذا المبدأ دينياً ، أو سياسياً ، أو فلسفياً .

والظاهرة الغربية فى كل حضارة هى أن الممالك والدول لا تزعمها الحروب ، ولا تهتد كيانها نجات الحوادث وزعازع الأخطار ، إنما يذكرها دكا ، ويعصف بها عصفا الفساد الخفى ، وتخاذل النفوس ، والانفناع وراء الشهوات . وقد بما كان الفساد وانحلال الأخلاق والاستهتار وارتكاب الموبقات من أشد عوامل هدم المدنيات .

والموسيقى ، وهى الدرّة اللامعة فى تاج فنون الجميلة ، قوة فعالة فى بث الأخلاق ، وخلق العاطفة فى النفوس . وإذا خلقت العاطفة فى الإنسان فقد خلقت فيه الأخلاق ، لأن عاطفة الحب مثلا تتطوّر مع الإنسان . فإذا أحب إنسان المجتمع بذل جهده فى خدمته . وبذل الجهد فى خدمة المجتمع أول واجبات الإنسان فى الدستور الأخلاقى . ومن أحب الإنسانية عمل على الإحسان إليها ، وتلك إحدى صفات الرجل المهذب . وإن أحب دينه حسن إيمانه وزادت محبته فى الله . وهذا أهم واجبات الإنسان .

وعاطفة الفرح مثلا تبعده عن الإنسان الكآبة التى تنفص حياته وحياة المتصلين به . وإذن يرى واجبا أن يعمل على نشر البهجة والمرور فى نفوس معاشره . وتلك فضيلة خلقية .

وهكذا تترقى بنا الأمثلة فى جميع النواحي الخلقية التى تخلقها العاطفة ويبعثها النغم الموسيقى .

والنغم الموسيقى هو الباعث ، ولا ريب ، للكآبة فى الإنسان بترقية طباعه وتهذيبه ، فإن سماع الأنغام يوقظ المشاعر ويلهب الخس فيدفع باله عاطفة نحو السموا . وبالعقل نحو التفكير . وبالحيال نحو دنيا لروح . وعلى الجملة فإنها تكبت الشهوات الجسدية ، فيسود العقل والعاطفة وروح على النفس البشرية .

وقد يكون لمعرض أن يقول : إن الموسيقى قد تكون أحيانا أداة شر . وسنده في ذلك ما يراه في بعض أمان كن السهر والسر بجز البريء . ورأينا في ذلك أن الموسيقى ما كانت ، ولن تكون ، أداة شر ، وهي مرتقة اشغور ، ومهدنة الوجدان ، ومهفة الحس . وإنما قد يكون الشر ، بمضد أو كلة ، في الشعر والمونولوج إذا كانا يحملان في طياتهما سموما فكرية حاضرة على لرذيلة . وإن فلا ذنب للموسيقى ، إن الذنب ذنب الشعر وواضعيه .

وقديما أدرك هذا الخطر قدماء المصريين ، فقد كانت موسيقاهم مثلا ساميا لموسيقات المدنيات القديمة ، ذلك إن الكهنة - وهم علماء هذا الفن وحراسه - كانوا شديدي السهر عليها وعلى كل ما استغنى به . فقتلوا الشبان ولم يتركوا لهم الحرية في الموسيقى والتغنى . وهذا أفلاطون يقول :

” لم تكن الموسيقى عند قدماء المصريين حرة ، بل قيدها القوانين ، فتحم على الأطفال مزاولتها في سن معينة ، كما حرم على الشبان الا يتغنوا إلا بما ينقيه لهم الكهنة من الموسيقى الجيدة التي تطهر النفس ، وما يتغيرونه لهم من الأغاني الحائثة على الفضيلة ومكارم الأخلاق“ .

ولقد احتضنت لأدران التي تعاقبت بعد قدماء المصريين الموسيقى ، واستخدمتها وسيلة ناجعة في نشر أخاها وتربيتها ، وأداة لتهديب الشعوب وتطهير النفوس وتوجيهها الوجهة الدينية الصالحة التي تحض على الخلق القويم .

وجاء الإسلام فضرب المثل العليا لمبادئ الاجتماع المؤسسة على مكارم لأخلاق ، والسمو النفسى ، والكمال البشرى ، فكان دين الحضارة اظاهرة ، واندنية المصطفاة ، أو إن شئت فقل هو دين الخلق القيم . فكان لزاما أن تهض الموسيقى في أحصائه ، وتردهر في عزه ، وترى حتى تكون ثقافة في كنفه .

وما في هذا عجب ، فقد تعالجبى الموسيقى من غير المشتغلين بها فريق من أجلاء الأئمة والعلماء والصالحين وأخلفاء ، ومن إليهم من الأمراء والأشراف ولأتباع والمقرين .

قل حسين بن دهمان الأشقر : كنت بالمدينة فجلالى الطريق وسط النهار فجعلت أتغنى :

ما بأل أهلك يارباب خزرا كأنهم غضاب

فإذا خوخة قد فجمحت (وهو البويب الصغير في الباب الكبير) وإذا وجه قد بدا تليه لحية حمراء فقال : يا فاسق ، أسأت التأدية ، ومنعت القائلة (القيلولة) ، وأذعت الفاحشة ثم اندفع يفتيه ، فظننت أن طويسا قد نشر بعينه . فقلت له : أصلحك الله . من أين لك هذا الغناء ؟ فقال : نساأت وأنا غلام حدث أتبع المغنين وأخذ عنهم ، فقالت لى أمى :

يا بنى إن المعنى إذا كان قبيح الوجه لا يلتفت إلى غنائه ، فدع الغناء واطنب الفقه فإنه لا يضرك
 ١٠٥ قبح الوجه ، أتركت المعنيين وأتبعته الفقهاء ، فبذع الله بي عز وجل ماترى . فقلت له :
 فأعد ، جعلت فداك . قال لا ، ولا كرامة ، أتريد أن تقول أخذته عن مالك بن أنس ،
 وإذا هو مالك بن أنس ولم أعلم .

وهذا السيوطى يقول عن شيخ الحنفية الكمال بن الهمام الذى بلغ مرتبة الاجتهاد ،
 لأنه كان علامة فى الموسيقى . وروى ابن خلكان أن الفقيه أبا مروان بن المأجشون ،
 تلميذ الإمام مالك كان مولعا بالغناء . ويقول أبو الفرج فى كتاب الأغاني إن أحمد بن حنبل
 قدم عليهم بغداد ومعه من يفتيه . واستطرد أبو الفرج بذكر جماعة من أجلاء الشيوخ سبيل
 لهم أصواتا ذكر ضربها وإيقاعها بالرواية والسماع .

وإن تفرغ النبي عليه الصلاة والسلام ، لنشر دعوته ، وتبليغ رسالته ، واشتغل بالفتوات
 ومحاربة الكفار من قريش ، فنقد كان عليه السلام ، يتقبل الغناء ، ويدعو اليه فى مناسباته .
 من هذا ما سمع به بخارية من قريش نذرت لئن رده الله من غزوه لتضربن فى بيت عائشة
 بدف . فلما رجع الرسول الكريم ، جاءت البخارية تريد أن تنهى بوعدها . فذهبت عائشة ،
 رضى الله عنها ، لرسول الله تخبره قالت : فلانة ابنة فلان نذرت لئن ردك الله تعالى أن تضرب
 فى بيتى بدف ، فقتال لها فتضرب .

وكذلك ما روى من أنه ، صلى الله عليه وسلم ، دخل على زوجه أم المؤمنين عائشة ،
 رضى الله عنها ، وهى ترف جارية لها من الأنصار فقال لها : يا عائشة ألا تبعين معها من
 يفتي فإن أهل هذا الحنى من الأنصار يحبون الغناء .

وما روى عنه صلى الله عليه وسلم يتدح أبا موسى الأشعري حيث قال : " لقد أعطيت
 مزمارا من مزامير آل داود " . وما تناقله الرواة والتقات من أنه صلى الله عليه وسلم أذن
 لبلال بن رباح الحبشى فى الأذان بصوته الجميل .

وكان عمر رضى الله عنه ، راضيا عن الموسيقى والغناء ، فقد روى صاحب المقد أن
 عمر بن الخطاب قال للناطقة الجندى : أسمعنى بعض ما عفا الله لك عنه من غنائك ، فأسمعه
 كلمة له . قال وإنيك لتقاتلها ؟ قال : نعم . قال : لعنما غنيت بها خلف جمال الخطاب .

وهما يجدر بنا الوقوف . فقد نفهم من هذه الرواية أن الغناء لدى عمر كان صنفين :
 صنفا " يعفو الله عنه " وصنفا " لا يعفو الله عنه " وهو تعبير دقيق يدل بأجلى بيان على أدب
 عمر ، وجمال ذوقه ، ورفاهة حسه . وما من ريب فى أن كثيرا من الأغاني التى تداولتها

العصور المختلفة تدخل فيما " لا يدعو الله عنه " لأنها أبعد ما يكون عن الحمية والفضيلة والنجدة وتشجيع الخلق لكامل ، وزويد الشعوب بأرقى صفات الرجولة والعفاف . وحسبنا ما نشكوه الآن .

إذن لم يكن عمر بركد الموسيقى إطلاقاً ، إنما كان يكره منها الخمث الذي يبغده الشعب عن الجهاد والبخش ، ويسلمهم إلى الرذالية والظنوة . وما كان ذلك من طبيعة الإسلام ولا من خلق عمر ، ولا يليق بالخلق القويم .

ترعرعت الموسيقى في أيام عمر ، فتجمعت منازل الأمراء والأشراف وسأيرت مجالس الشعر والأدب . وما كاد يهل عصر عثمان ، رضئ الله عنه ، حتى سجلت أخبار المدينة أن رائقة المغنية المشهورة ، وتلميذتها الغنية عزة الميلاد ، وغيرهما ، كن يجعلن فيها حفلات موسيقية رائعة يحضرها أشراف القوم وفنانوهم ، وعلى رأسهم حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وما نعدو الصواب حين نقرر أن الموسيقى في صدر الإسلام قد لبست ثوباً دينياً ناصعاً ، يوم سرت تلاوة القرآن الكريم بالصوت الجميل في أنفس الناس سرعان العافية في الجحيم السقيم . وآية ذلك ما بين أيدينا من أحاديث مأثورة عن مشهورى الصحابة في مدح قارئ القرآن ، إذا كان جميل الصوت ، لم يخرج عن الحد المعقول في القراءة ، والأدب الواجب للقرآن . وما رفع القرآن الكريم علم المومنين عالياً بين العرب ، وإنما علم التجويد .

ومن إعجاز القرآن نظمه الموسيقى الرائع الذي يسيطر على مستمعيه ، ولو كانوا غير مسلمين ، حتى قال بعض الأجلة : " إن قوانين الموسيقى قد لحظت في القرآن تامة مكتملة " . إذن فإن للموسيقى نصيباً موفوراً في القرآن الكريم ، وهو عماد الدين ، ومدار السعادة والعزة للمسلمين .

وكذلك الشأن في بعض الشعائر الأخرى ، كالأذان للصلاة العامة ، والأذان للصلاة في شهر رمضان خاصة ، وصلاة العيدين وتلاوة التكميزات فيهما في لحن موسيقى رائع ، مما يرقق حاشية الروح ، ويلين القلوب الغلاظ ، ويسهب النامس لتلقى الشفحات الإلهية في بهجة وانسراح .

أما الصوفية ، وما تقيم من حلقات الذكر ، فهي في غير حاجة إلى شرح أو تطويل . سيداتي ، سادتي :

ازدهر لإسلام في العصر الأموي ، واتسعت فتوحاته في أيامهم شرقاً حتى وصلت إلى الصين ، وغرباً حتى بلغت المحيط والأندلس . ولقد قيل بحق إن الخلفاء الراشدين جعلوا من الإسلام ديناً كما جعل لأمويون منه امبراطورية .

وفي ذلك العصر وضعت الألحان العربية على إيقاعات متعددة ، وأصبح للموسيقى حظ العلوم والفنون الأخرى ، فأينعت وأثمرت ، وأنتجت صفوة من أعلام المغنين والمغنيات . كان الروح العربي للموسيقى روحاً فنياً رياضياً ، غير متعصب ولا جامد ، لما كاد يتصل بالمدينيات الفارسية واليونانية والمصرية حتى تشربها ، ونقل غناءها إلى غناء العرب ، وآلاتها إلى آلات العرب محافظاً في كل ما اقتبس أو نقل أو حاز ، على الطابع العربي والأسلوب العربي ، والروح العربي .

فهذا ابن مسجج ، وهو أحد فقول المغنين ، في العصر الأموي ، كان في حدائمه يستمع إلى الأعاجم تتغنى بالفارسية بمكة ، فنقل غناءهم إلى شعر عربي ، كما حفز مولاه - تشجيعاً له على دراسة فن الغناء - أن يوفده في رحلة إلى الشام ، لتعلم هذا الفن ، فرحل وأخذ ألحان الروم ، ثم انقلب إلى فارس فأخذ بها غناء كثيراً ، وتعلم العزف ، ثم قدم إلى الحجاز ، وقد أخذ محاسن النغمات فحذقها ، وكان قد هضم ما أخذه عن الأعاجم من فن الموسيقى والغناء ، فاستبعد منه كل ما يتناق مع الذوق العربي والطابع العربي ، وصاغه مذهباً عربياً صمياً ، اتبعه الناس فيما بعد . وأخذ عنه ابن محرز ومعبود وابن سريج والفريض وهؤلاء هم مؤسسو المدرسة الحديثة في الموسيقى العربية وأسائتها .

وما كان يخفى على الخلفاء شأن هؤلاء الأساتذة في تدعيم هذه المدرسة والنهوض بالموسيقى إلى الشأو الذي يصلح لأن يكون ركناً من أركان الاجتماع ، وعماداً من أعمدة المدينة الإسلامية ، فخصوهم بالاحترام والتقدير ، وأنالوهم الحظوة عندهم ، تدعياً للتمنزة ، ونشراً لهذا الفن الجميل . ففي خلافة بني أمية ، وفي أول عهدهم بالحكم ، رأينا أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يشجع أهل هذه الصناعة ، بل تراه هو نفسه موسيقياً ، وماجناً ، طارفاً بأنواع الغناء ، يسأل ابن مسجج ، وهو في حضرته ، هل يغنى غناء "الركبان" وهو الغناء القديم ، وهل يغنى الغناء "المتقن" وهو الغناء الحديث . وما سأل أمير المؤمنين هذا السؤال إلا لمعرفة هذين الغناءين وإتقانه لهما .

وكان سليمان بن عبد الملك يقيم المسابقات بين المغنين ، ويحجز لهم العطاء . وقد بلغ من تقدير يزيد بن عبد الملك أنه ما كاد يتولى الخلافة حتى اشترى حيازة المغنية بأربعة آلاف دينار ، وظلت موضع إكرامه حتى وفاتها .

وقد رأينا الوليد بن يزيد يعظم الرعاية للموسيقى وأهلها ، وقد بلغ من إكرامه لمعبود أنه عند ما مرض تولى أمره وآواه في قصره ، فلما مات شيع الجنة بنفسه ، ومشى في جنازته من قصره إلى موضع القبر . بل كان الوليد كذلك عالماً بصناعة تأليف الألحان وله فيها لحن مشهورة ، كما كان يضرب بالعود ، ويوقع بالنظيل والدف .

ولم تقتصر معاضدة أهل هذه الصناعة على الخلفاء ، بل سرت إلى الأشراف والنبلاء والسرارة ، فقد كان لعبد الله بن جعفر مجالس طرب عظيمة يدعو إليها مشهورى المغنين ، وكان سائب خاثر ونشيط منقطعين إليه . كما كانت السيدة سكينه بنت الحسين رضى الله عنهما مشغوفة بالغناء والموسيقى . وكان الغريص المنفى المشهور فى خدمتها ملازما لها . وكانت عند ما يجتمع عندها المغنون تأذن للناس فى دخول بيتها إذا ما .

ومن مفاخر العصر الأموى أنه يدى فيه بوضع أول تصانيف عربية فى أخبار الموسيقى والغناء ، فقد وضع يونس الكاتب كتاب " النغم " وكتاب " القيان " ، فكانا نواة لما صنف بعد ذلك .

هذه الموسيقى التى حاطها الإسلام برعايته فأنشأت المدرسة الحديثة الأولى ، وأخرجت التصانيف الموسيقية العربية الأولى ، بلغت عصرها الذهبى فى عهد العباسيين ، فإنها أسرعت الخطى نحو الكمال حتى بلغت أوج المجد وذروة العلاء . زادت المقامات وطرائق الإيقاع حتى تعددت فى اللحن الواحد ، وكثرت الآلات وتنوعت وشاع استعمالها حتى عزفت مائة قينة معا وسما قدر أهل الموسيقى حتى اتخذ الخليفة منهم نفوسا ندما وجليسا .

ولقد بدت فى العصر العباسى ظاهرة جديدة ، تلك أن العرب أصبحوا لا ينظرون إلى احتراف الموسيقى — كسابق عهدهم — بشطرين ، أو يتأبون احترافها ، فإن من أبناء أشرافهم من دخل فى زمرة أهل هذه الصناعة فى ذلك العصر . وكان من أساطين هذه الفئة — فئة الأشراف المحترفين — إسماعيل بن جامع القرشى المنفى الفحل . وهو من أحفظ خلق الله لكتاب الله وأعلمهم بأداب الإسلام . كان يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة فيصلى الصبح ، ثم يصفق قدميه حتى تطاع الشمس ، ولا يصلى الناس الجمعة حتى يختم القرآن ، ثم ينصرف إلى منزله .

بل لقد احترف هذه الصناعة بعض الأمراء كإبراهيم بن المهدي أنى الرشيد . كذلك كان الخليفة الواثق بالله موسيقيا من كبار الموسيقيين ومن أعلم الخلفاء بالنساء والتاجين ، باقت صمته فيه مائة لحن . وروى أنه كان أحذق من غنى وضرب على العود . وكان كثير التقدير للموسيقى وأهلها . وإن قوله فى إسحق الموصلى لدليل على ما كان يكنه خلفاء هذا العصر من احترام هذه الصناعة وأهلها ، إذ قال " ما غانى إسحق قط إلا ظننت أنه قد زيد لى فى ملكى... وإن إسحق لنعمة من نعم الملك التى لم يحظ بمثلا ، ولو أن العمر والنشاط والشباب مما يشتري لا شترتين له بشطر ملكى " .

ولقد أعطى الخليفة الهادى إبراهيم الموصلى نحسين ومائة ألف دينار فى يوم واحد حتى قال إبراهيم : لو عاش لنا الهادى لبئنا حيطان دورنا بالذهب والفضة .

هذه العاية من حلفاء بنى العباس بالموسيقى وأهلها . وحفاه بنى أمية بها ، أظهر دليل على سمو المدنية العربية الإسلامية ، لأن الموسيقى دائماً مقياس المدنيات .

ولقد يضطر الإنسان ، إذ يعرض أمثال هذه الحوادث — شاء أو لم يشأ — إلى أن يوازن بينها وبين أحوال أطلت الموسيقى في أوروبا حتى أوائل القرن التاسع عشر . أى بعد التاريخ الذى نحن بصدده بنيف وألف عام . كان موسيقيو ذلك العصر ذوى مرتبة مكدودين ، يفعل بهم البؤس أفاعيله . وإليك مونتسارت أكر عبقرية موسيقية عاشت في أوروبا في القرن الثامن عشر ، وإنه على الرغم مما يبلغ من الشهرة وبعد الصيت ، وبعد أن رحل إلى إيطاليا وبالت أخانه الإعجاب والتقدير ، وبعد أن ظفر بثقل هذا الإعجاب والتقدير من فرنسا والمجترات ، ما كاد يعود إلى وطنه النمسا حتى استدعاه حاكم مدينة زالتسبورج مسقط رأسه وضمه إلى قصره تجرى عليه معاملة حدمه ومهاتهم ، حتى لقد كان يؤاكلهم في مطبخ القصر . على أن الأيام لم تصف له بعد ذلك فعاش حياته فقيراً وقضى نحبه فقيراً . ولم يكن "هايدن" قبله ، ولا "بيتهوفن" بعده ، أسعد منه حظاً أو أكثر وفراً .

ولقد أسست في العصر العباسي أول جامعة عربية لدراسة العلوم والفنون ، بناها المؤمن في بغداد ، وأسمها "بيت الحكمة" ، فاشتمل فيها فضائل العلماء بترجمة علوم اليونان التي كان من بينها العلوم الموسيقية . ومن حظ الموسيقى في ظل الإسلام في ذلك العصر أن ظفرت فيه بأعلام قرروا قواعد الموسيقى العربية ونظرياتها ، ووضعوا فيها مؤلفات قيمة لا تزال إلى اليوم مرجعاً من مراجع العلم الموسيقي . ومن أئمة من عني بهذا التأليف الموسيقي الخليل بن أحمد ، وإسحق الموصلي ، ثم إسحق بن يعقوب الكندي الذى كتب ما يربى على سبعة مؤلفات في العلوم الموسيقية ونظرياتها ، وكان أول من استعمل في كتبه تدوين الموسيقى بالحروف بشكل منظم . وأبو نصر الفارابي الذى كان من أكبر علماء العرب وفلاسفتهم ، كان موسيقياً بارعاً . يجيد عزف بالعود ، ووضع كثيراً من الكتب في الموسيقى . وكذلك الشيخ الرئيس ابن سينا فقد صنف ثلاثة مؤلفات موسيقية ، كان فيها أول من عالج موضوع تعدد التصويت بما يعتبر أساساً لعلم الضرغوني الحديث .

وفي ذلك العصر الذهبي اختيرت المائة صوت المخترة ، فقد كلف هارون الرشيد إبراهيم الموصلي وإسماعيل بن جامع وفليح بن أبي العوراء ، أن يختاروا له من أغاني العرب كلهم مائة لحن ، ثم أمرهم أن يختاروا عشرة منها . ثم أمرهم أن يختاروا ثلاثة من العشرة ، فكانت تلك الأصوات : لحناً مُعَبِد ، ولحناً لابن سريج . ولحناً لابن محرز .

أما في الأندلس . بعد أن فتحها بنو أمية وأظنها الإسلام ونشر فيها مبادئه الاجتماعية — فقد كانت إشبيلية أعظم مركز عالمي للموسيقى والشعر ، ولصناعة آلات الموسيقية .

وما كان اهتمام خعاء الأندلس بالثقافة الموسيقية ، و رغبة شأن الموسيقيين ، بأقل من اهتمام بني العباس ، حتى لقد كانت في طليعة العلوم والفنون ، وذاع انتشارها ، ولم تقتصر على فئة خاصة ، بل غدت ثقافة عامة اشترك فيها جميع طبقات الشعب .

دخل العرب الأندلس فنقلوا إليها ما سبق معرفتهم له من الآلات الموسيقية في الشرق ، ثم افنتوا فيها ، وزادوا عليها . ولم يقتصر فنناهم على الآلات الموسيقية بل اهتموا في التأليف الموسيقي ، وأواعه ، وسيروره ، وفي ارتقاهم في مدارج المدنية فوجدوا الجديد فيها . ومن هذا الجديد : النوبة والرحل والموشحات .

وكان فصل زرياب عن الموسيقى في الأندلس أن زاد الوتر الخامس في العود ، واستعمل في العزف على تلك الآلة ريشة السر وكانت لا تزال حتى وقتنا من الخشب ، كما أوجد له في الموسيقى مدرسة خاصة وطريقة جديدة في التعليم .

ولقد ظلت الأندلس زهرة أوروبا المتأخرة طوال خمسة قرون ، تنشر عليها أريجها في كل علم وفن ، وأرسلت أوروبا إلى جامعاتها بالبعوث لاكتشاف العلوم العربية ودراستها على أئمة العرب وأساطين علمائها ، فكانت الموسيقى أولى هذه العلوم والفنون التي وفدت البعث لدراستها وترجمتها كتبها .

وفتح العرب مصر ، فتعاقبت عليها المدينيات الإسلامية حتى بلغت عصر الفاطميين فكانت حضارتها فيه إحدى حقائق تلك الحصارات الزاهرة البانعة . وكانت مصر متقى المدينتين : العباسية والأندلسية تربطهما وتوحد بينهما .

وكذلك وإلى الخلفاء الفاطميين الموسيقى بالرعاية ، ووالوا علماءها بالتشجيع ، فكثرت التأليف في علومها وجمع أغانيها . وكانوا يبذلون في هذه السبيل الطائل من الأموال ، ويجزلون العطاء للفنين .

هذا هو شأن الموسيقى العربية في ظل الإسلام ورعايته ، بلغت من الرقي والانتشار والذيع والدرجة عالية تجلي الباع بيان عن رقي التمدن الإسلامي وحضارته ، وفي المخلفات الباقية بين أيدينا ، والتي تجعلها كتب الأدب والفنون ما يدل على حلة الموسيقى في ظل الإسلام ووافر ثروتها .

ولئن ضعفت الموسيقى لعربية ، بعد ذلك ، وأصابها الوهن حينما من الدهر من تقلبات المنازعة السياسية في الشرق ، فقد أحيا الأمل في إنعاشها وإعادتها سيرتها الأولى من المجد والعظمة نهضة مصر الحديثة ، في ظل رعاية الأسرة الحاكمة الكريمة ، حيث بدأ المتعلم العظيم محمد علي الكبير عهد نهضة إنشاء خمس مدارس للموسيقى في مصر .

وتقد تعاقبت بعده الرعايات السامية حتى كان أبو النهضة العلمية الحديثة، مولانا الملك
الراحل المغفور له فؤاد الأول رحمه الله ، نخب الموسيقى العربية برعايته ، وعقد لها مؤتمرا
من أقطاب الموسيقى في جميع الأمم ، يبحث شؤونها وينظر في أسباب رقيها ونهضتها . وقد
نالت الموسيقى في أيام جلالاته، رحمه الله، ما تلبسحق من كرامة ، حتى أصبحت فنا يتدافس
في تعليمه والإلتام بأصوله وقواعده . وأصبحت تعد جزءا هاما من ثقافة الشعب ، وعلما
يدرس بالمدارس المصرية إلى جانب العلوم الأخرى ، وتوفد البعث إلى معاهد الموسيقى
في البلاد المتقدمة الأخرى للتحصيل والترويض بالمومها وفنونها .

ولأمل معقود في أن تتخذ النهضة الموسيقية سيدها حتى تبلغ مجدها المنشود، وألا تطول
فترة السكون التي تخيم عليها اليوم، بسبب الاضراف إلى ما يشغل البال من الشؤون الخطيرة .
وأكبر الأمل أن يلتفت القائمون بالأمر الجمة إلى الموسيقى لتستكمل أسباب نهضتها ،
حتى لا تضع الجهود الجبارة التي بذلت في إحيائها ولماضها عبثا وهباء .

وهذا الذي ندعو إليه من طلب رعاية الحكومة للموسيقى يدرأ عنها الخطر ، بل يدرأ
الخطر عن الحضارة المصرية . فإن لم تبادر الحكومة إلى علاج شامل يتناول التعليم والإذاعة
والتأليف الغنائى العام والمسرحى ، ويتدارك الفوضى الناشبة في تلك النواحي ، ساءت حال
الموسيقى . ولكن غير الملك الصالح مولانا المعظم "فاروق الأول" على الإسلام ومبادئه السامية ،
ومدنيته العالية، هي خير ما يكفل للموسيقى عزرا رقيعا ، ومجدا شامخا في هذا العهد من حكمه
الإسلامى الزاهر .

وبعد ، فإني لأرجو أن تعاهدوا هذا الوطن الإسلامى ، على أن تحاربوا بكل الوسائل
ما لا يعفو الله عنه من الأغاني ما

محمود أحمد الحفنى